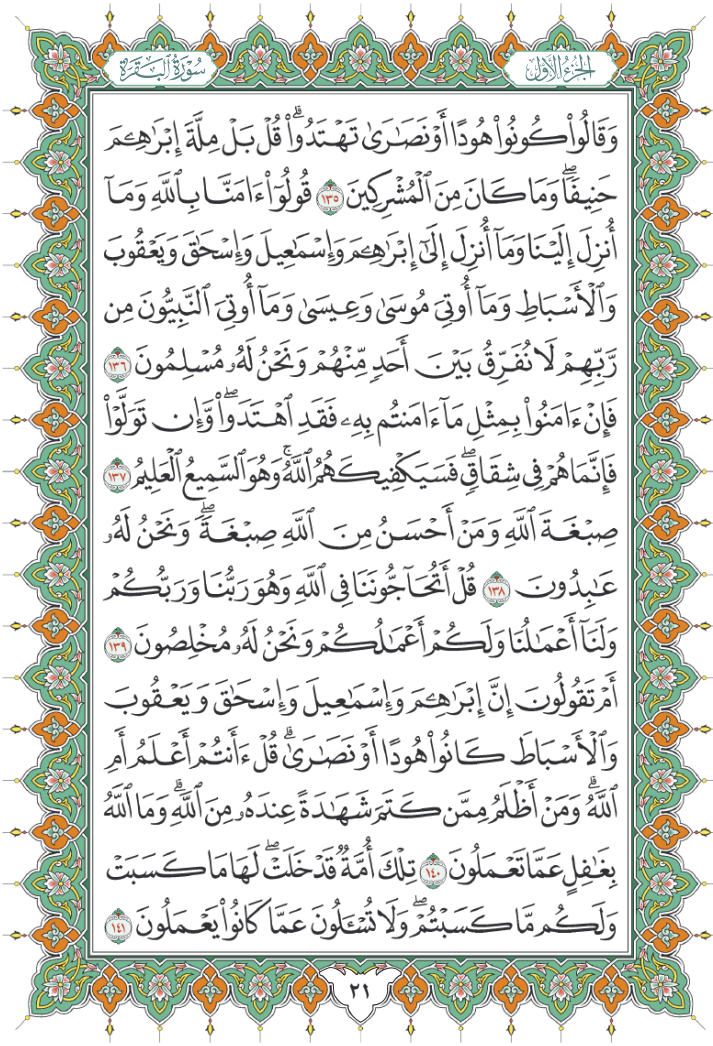

﴿١٣٥﴾- ولكنّهم لا ينفكّون يُمعنون في لجاجهم، ويزعم كلّ فريق منهم أنّ ملته هي الملّة المثلى، فيقول لكم اليهود: كونوا يهودًا تهتدوا إلى الطّريق القويم، ويقول النّصارى: كونوا نصارى تهتدوا إلى الحقّ المستقيم، فلتردّوا عليهم بأنّنا لا نتّبع هذه الملّة ولا تلك، لأنّ كِلتيهما قد حُرِّفَتْ وخرجت عن أصولها الصّحيحة، ومازجها الشّرك، وبعدت عن ملّة إبراهيم، وإنّما نتّبع الإسلام الذي أحيا ملّة إبراهيم نقيّة طاهرة.

﴿١٣٦﴾- قولوا لهم: آمنّا بالله وما أُنزل إلينا في القرآن، وآمنّا كذلك بما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنيه الأسباط، وبالتّوراة التي أنزلها الله على موسى غير محرَّفة، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى غير محرَّف، وبما أوتي جميع النّبيّين من ربّهم، لا نفرّق بين أحد منهم فنكفر ببعضهم ونؤمن ببعض - ونحن في هذا كلّه مذعنون لأمر الله.

﴿١٣٧﴾- فإن آمنوا إيمانًا مطابقًا لإيمانكم فقد اهتدوا، وإن تمادوا في عنادهم وإعراضهم فإنّما هم في نزاع مستمرّ وخلاف معكم، وسيكفيك الله أمرهم أيّها النّبيّ ويريحك من لجاجهم وشقاقهم، فهو السّميع لما يقولون، العليم بما في صدورهم.

﴿١٣٨﴾- قولوا لهم: إنّ الله قد هدانا بهدايته، وأرشدنا إلى حجّته، ومن أحسن من الله هداية وحُجّة، وأنّنا لا نخضع إلا لله، ولا نتّبع إلا ما هدانا وأرشدنا إليه.

﴿١٣٩﴾- قولوا لهم: أتجادلوننا في الله زاعمين أنّه لا يصطفي أنبياء إلا منكم! وهو ربّكم وربّ كلّ شيء، لا يختصّ به قوم دون قوم، يصيب برحمته من يشاء، ويجزي كلّ قوم بأعمالهم، غير ناظر إلى أنسابهم ولا أحسابهم، وقد هدانا الطريق المستقيم في أعمالنا، ورزقنا صفة الإخلاص له.

﴿١٤٠﴾- قولوا لهم: أتجادلوننا في إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأبنائه الأسباط زاعمين أنّهم كانوا يهودًا أو نصارى مثلكم؟ مع أنّه ما أنزلت التوراة والإنجيل اللّذان قامت عليهما اليهوديّة والنصرانيّة إلا من بعد هؤلاء، وقد أخبرنا الله بذلك، أفأنتم أعلم أم الله؟ بل إنّ الله قد أخبركم بذلك في أسفاركم فلا تكتموا الحقّ المدوَّن في أسفاركم هذه، ومن أظلم ممّن كتم حقيقة يعلمها من كتابه؟ وسيجازيكم الله على ما تلجون فيه من باطل، فليس الله بغافل عمّا تعملون.

﴿١٤١﴾- تلك أمّة قد مضوا لسبيلهم، لهم ما كسبوا في حياتهم، ولن تُسألوا عن أعمالهم ولن يفيدكم شيء منها، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال.

الآيات من 133 - 137

إبطال دعوى اليهود أنّهم على دين إبراهيم ويعقوب

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٣٣): نزلت في اليهود حين قالوا للنّبيّ ﷺ: ألست تعلم أنّ يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهوديّة؟

وسبب نزول الآية (١٣٥): هو ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال ابن صوريا للنّبيّ ﷺ: ما الهُدَى إلا ما نحن عليه؟! فاتّبعنا يا محمّد تهتدِ، وقالت النّصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾.[1]

وفي رواية أخرى عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: نزلت في رؤوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصّيف، وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى أهل نجران، وذلك أنّهم خاصموا المسلمين في الدّين، كلّ فرقة تزعم أنّها أحقّ بدين الله تعالى من غيرها، فقالت اليهود: نبيّنا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التّوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل وسيّدنا محمّد والقرآن، وقالت النّصارى: نبيّنا عيسى أفضل الأنبياء، وكتابنا أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بسيّدنا محمّد والقرآن. وقال كلّ واحد من الفريقين للمسلمين: كونوا على ديننا، فلا دين إلا ذلك، ودعوهم إلى دينهم[2].

المعنى العام

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

يقول الحقّ جلّ جلاله في توبيخ اليهود على زعمهم أنّ اليهوديّة كانت ملّة إبراهيم، وأنّ يعقوب عليه السلام أوصى بها عند موته، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ فهل كنتم حاضرين عند يعقوب حين حضرته الوفاة حتّى أوصى بما زعمتم؟ وإنّما كانت وصيته: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ أي شيء تعبدونه؟ أراد به تقريرهم على التّوحيد وأخذ ميثاقهم على الثّبات عليه، ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ﴾ المتّفق على وجوب وجوده وثبوت ألوهيّته الذي هو إلهك ﴿وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا﴾ نوحّده بالألوهيّة ولا نشرك به شيئًا ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، باب: ما ولاهم عن قبلتهم، ج١، ص٢٤٧.
(٢) انظر، الشربينيّ في السراج المنير، باب: سورة البقرة، ج١، ص٩٦.

خاضعون، منقادون لأحكامه، مستسلمون لأمره إلى مماتنا. فهم على منهاج واحد في التّوحيد والإسلام، وتوارثوا ذلك خَلَفًا عن سَلَف، فهم أهل بيت الزّلفة، ومستحقو القربة، والمُطَهَّرون من قِبَل الله على الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي مضت، والمراد إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط عليهم السلام ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي إنّ السّلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصّالحين، لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرًا يعود نفعه عليكم، فإنّ لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم، ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ذلك أنّ يعقوب لم يوصِ إلا بما سمعتم يا معشر اليهود، وانتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم، وإنّما تنتفعون بموافقتهم واتّباعهم. فقد جاء عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1].

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

يقول الحقّ جلّ جلاله: وقالت اليهود للمسلمين ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ كونوا معنا هودًا تهتدوا فإنّ ديننا أقدم، وقالت النّصارى: كونوا نصارى معنا تهتدوا فإنّ ديننا أصوب، ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ قل لهم يا محمّد بل نلزم ملّة إبراهيم، الذي كان مائلًا عن الباطل متبعًا للحقّ، مستقيمًا مخلصًا ومشاهدًا له وحده. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ولم يكن من المشركين كما أشركتم بعزير وعيسى وغيرهما، تعالى الله عن قولكم علوًّا كبيرًا. والحنيف هو الذي يؤمن بالرّسل كلّهم من أوّلهم إلى آخرهم[2].

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾.

أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله سيّدنا محمّد ﷺ مفصّلًا، وما أنزل على الأنبياء المتقدّمين مجملًا،

فقال جلّ جلاله: ﴿قُولُوا﴾ يا معشر المسلمين في تحقيق إيمانكم ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ أي صدّقنا بوجوده متّصفًا بصفة الكمال، منزّهًا عن النّقائص، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن، ﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ من الصّحف ﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولد إسحاق، ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب عليهم السلام قبائل بني إسرائيل، فقد كان فيهم من الأنبياء عدد كثير.

وقولوا آمنّا بما أنزل إلى موسى وهو التّوراة، وعيسى وهو الإنجيل، ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من عرفنا منهم ومن لم نعرف، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ واحد ﴿مِنْهُمْ﴾ كما فرّقت اليهود والنّصارى، فقد آمنّا بالله وبجميع أنبيائه ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي منقادون لأحكامه الظّاهرة والباطنة.

يقول تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ يعني الكفّار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أيّها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرّقوا بين واحد منهم ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ فقد أصابوا الحقّ وأُرشدوا إليه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحقّ إلى الباطل بعد قيام الحجّة عليهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ أي فسينصرك الله عليهم ويظفرك بهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وهو السّميع لمناجاة أسراركم معنا على وصف الدّوام، العليم باستحقاقكم منّا خصائص اللّطف والإكرام. ذلك أنّ كفاية الله متحقّقة لأنّ عناية الله بكم متعلّقة، فمن نابذكم قَصَمَتهُ أيادي النُّصرة، ومن خالفكم قَهَرَتهُ قضايا القسمة.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٦٩٩، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.
(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن أبي قلابة، حديث رقم: ١٢٩٤، باب: قوله: ﴿آمنّا بالله وما أُنزل﴾، ج١، ص٢٤٢.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. سنّة الله في الخلق أنّ المرء يُجزى بعمله، ولا يُسأل عن عمل غيره.

٢. يُطلق لفظ الأبّ على العمّ والجدّ تغليبًا وتعظيمًا، فآزر كان عمّ سيّدنا ابراهيم عليه السلام ولم يكن والده. إذ والد سيّدنا ابراهيم عليه السلام من أجداد رسول الله ﷺ وجميع أجداده مؤمنون موحّدون صالحون من خيار أهل زمانهم، فقد كان يُنقل نوره من ساجد إلى ساجد، كما روي عَنِ ابن عبّاس رضي الله عنهما: "﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[١]، قَالَ: مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أُخْرِجْتَ نَبِيًّا" [٢].

وفي رواية أخرى عن رسول الله ﷺ قوله: «لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ»[٣].

قام النّبيّ ﷺ يومًا على المنبر، فقال: «مَنْ أَنَا؟» قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ، وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ، وَجَعَلَهُمْ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا»[٤].

٣. لا هداية إلا في الإسلام ولا سعادة ولا كمال إلا بالإسلام.

٤. إنّما أُمِرْنا أن نؤمن بالتّوراة والإنجيل، ولا نعمل بما فيهما من الشّريعة والأحكام لأنّها منسوخة بشريعة خاتم الأنبياء سيّدنا محمّد ﷺ، فلا تقبل عبادة إلا بها... قال رسول الله ﷺ: «﴿آمِنُوا بِالتَّوْرَاةِ وَالزَّبُورِ وَالإِنْجِيلِ وَلْيَسَعْكُمُ الْقُرْآنُ﴾»[٥].

٥. الكفر برسول من رسل الله تعالى هو كفر بجميع الرّسل. فقد كفر اليهود بعيسى عليه السلام، وكفر النّصارى بسيّدنا محمّد ﷺ، فأصبحوا بذلك كافرين، وآمن المسلمون بكلّ الرّسل فأصبحوا بذلك مؤمنين.

٦. الإسلام هو ملّة الأنبياء قاطبة، وإن تنوّعت شرائعهم واختلفت مناهجهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٦] والآيات في هذا كثيرة، كذلك الأحاديث، منها قوله ﷺ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[٧].

٧. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾ معناه إذا تجاذبتك الفِرَق، واختلفت عليك المطالبات بالموافقة، فاحكم بتقابل دعواهم، وأزِد من توجّهك إلينا، جاريًا على منهاج الخليل عليه السلام في اعتزال الجملة، سواء كان من أقاربه، أو كان ممّن لا يوافق مولاه، ولذا قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٨] للحقّ بالحقّ.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٩.

(٢) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ١٢٠٢١، كتاب: العين، باب: عكرمة عن ابن عبّاس.

(٣) ذكره الرازيّ في تفسيره، باب: سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١-٢٢٣، ج٢٤، ص٥٣٧.

(٤) رواه أحمد في مسنده، عن العبّاس بن عبد المطلب، حديث رقم: ١٧٨٨، مسند: بني هاشم، مسند: العبّاس بن عبد المطلب عن النّبيّ ﷺ، الحديث حسن لغيره.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، عن معقل بن يسار، حديث رقم: ١٣٠٢، باب: قوله: لا نفرق بين أحد منهم، ج١، ص٢٤٣.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٧) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦١٩٤، كتاب: التاريخ، باب: ذكر البيان بأن الأنبياء صلوات الله عليهم، الحديث إسناده صحيح. أخوة من علات: هم الإخوة من أب واحد وأمهات شتى.

(٨) سورة مريم، الآية: ٤٨.

٨. لا يزال اليهود والنّصارى في عداء للإسلام وحرب على المسلمين، والمسلمون يكفيهم الله تعالى شرّهم إذا هم استقاموا على الإسلام، عقيدة وعبادة وخلقًا وأدبًا وحكمًا.

٩. لمّا آمن نبيُّنا ﷺ بجميع ما أُنزِلَ من قَبْلِهِ أُكْرِمَ بجميع ما أَكْرَمَه من قبله، فلمّا أظهر موافقة الجميع أَمَرَ الكُلَّ بالكَوْنِ تحت لوائه فقال: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي﴾[1].

١٠. ولمّا آمنت أُمَّتُهُ بجميع ما أَنزل الله على رسله، ولم يفرّقوا بين أحدٍ فهم ضربوا في التّكريم بالسّهم الأعلى فتقدّموا على كافّة الأمم، وكانوا شهداء على النّاس.

ما الفرق بين بني إسرائيل واليهود

كان لإبراهيم عليه السلام ولدان: إسماعيل وإسحاق. وكان إسحق عليه السلام نبيًّا، أنجب ولدًا سمّاه يعقوب، ويعقوب عليه السلام هو أيضًا نبيّ، وقد سمّاه الله تعالى في القرآن الكريم " إسرائيل" ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] فيعقوب هو ابن إسحق ابن إبراهيم عليهم السلام بنو إسرائيل هم ذريّة أَولاد إسرائيل- يعقوب- الاثني عشر، لذا أطلق عليهم الأَسباط, لأَنّهم أَولاد أَولاده، وقد شاعت هذه التّسمية فيهم حتّى أَصبحت حقيقة عرفيّة، وهي فيهم كالقبيلة في ولد إسماعيل عليه السلام فهم اثنتي عشرة أُمّة، كلّ أُمّة منهم ترجع إلى ولد من أَولاده الاثني عشر فكانوا لهذا أَسباطًا له، أَي أولادًا لأَولاده هؤلاء.

كرّم الله تعالى بني إسرائيل وشرّفهم في القرآن الكريم، فمنهم الأنبياء: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3].

فإسرائيل هو يعقوب نبيّ الله ورسوله، لذا من سبّ إسرائيل وهو يعلم أنّ إسرائيل نبيّ الله ورسوله يُخشى عليه الكفر. لأنّه يسبّ نبيّ من أنبياء الله.

سكن بنو إسرائيل فلسطين في منطقة الخليل قبل أن ينتقلوا إلى مصر في زمن نبيّ الله يوسف عليه السلام، حين دعا والديه، إسرائيل وزوجته وإخوته، فسكنوا مصر مع الأقباط- سكان مصر الحقيقيين- الفراعنة.

إذن بنو إسرائيل هم قوم وليسوا دينًا، لأنّ دينهم كان الإسلام بنصّ القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾.

فاليهود هم من نسل أولئك اليهود من بني إسرائيل، ولكن جعل الله ﷻ منهم مؤمنًا وكافرًا، وقد يأتي المؤمن من الكافر، ويأتي الكافر من المؤمن.

أمّا اليهود الموجودون الآن على رأس الحكم فهم يهود أشكنازي من سلالة يهود الخازار قبيلة قرب روسيا وأوكرانيا- بحر الآزوف- أمّا دولة اسرائيل فلا علاقة لها باسم سيّدنا يعقوب عليه السلام "إسرائيل".

واليهود اليوم محتلّون، ليس لهم حقّ في الأرض.

---

(١) رواه البزار في مسنده، عن أنس، حديث رقم: ٦٤١٣، مسند: أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

من هم بنو إسرائيل وما دينهم؟

الأسباط هم أولاد يعقوب عليه السلام، نبيّ الله إسرائيل كما ذكرنا. وقد اتّفق العلماء على أنّ سيّدنا يوسف بن يعقوب عليه السلام، هو نبيّ من أنبياء الله تعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سُئِل رسول الله ﷺ: "أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟" قَالَ: ﴿أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ﴾ قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: ﴿فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابن نَبِيِّ اللهِ، ابن نَبِيِّ اللهِ ابن خَلِيلِ اللهِ﴾"[1].

قال القرطبيّ: "وسُمُّوا الأسباط من السَّبْط وهو التّتابع، فهم جماعة، وقيل: أصله من السَّبَط بالتّحريك وهو الشّجر، أي في الكثرة بمنزلة الشّجرة الواحدة سَبْطَة. والسّبط، الجماعة والقبيلة الرّاجعون إلى أصل واحد[2].

أمّا إخوة سيّدنا يوسف عليه السلام، فهناك قولان في مسألة نبوّتهم: بعضهم قال: إنّهم أنبياء، واستشهدوا لذلك بقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾[3] وهذا قول ضعيف لا يحتجّ به.

والقول الآخر، وهو الصّحيح الذي اتّفق عليه العلماء، أنّ إخوة يوسف العشرة، ما عدا أخاه الصّغير بنيامين- الذي لم يشترك معهم بإلقاء يوسف في البئر- ليسوا أنبياء، لأنّ ما صدر عنهم نحو أخيهم يوسف ووالدهم يعقوب عليهما السلام، لا يجوزُ صدوره عن الأنبياء. وما يُقصد بالآية، من ذِكرٍ للأسباط، ليس بالضّرورة أن يكونوا أولاد سيّدنا يعقوب عليه السلام، بل المقصود به، من انحدر من سلالة يعقوب عليه السلام، من بني إسرائيل، الذين كان منهم عددٌ كبيرٌ من الأنبياء، آخِرُهم، سيدُنا عيسى عليه السلام.

من أسماء الله الحسنى: السميع

شرح اسم الله تعالى السميع

- يسمع من غير وسيلة أو آذان ولا يحجب سمعه بُعد.

الله لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي. يسمع تسبيح وكلام كلّ شيء ناطق ويسمع جميع اللّغات ويُجيبُ جميع السّائلين ولا يشغله شأنٌ عن شأن.

- وهو الذي يسمع دبيب النّملة وحركة الذّرة ويسوق إليها حاجاتها.
- هو الذي يسمع المُناجاة ونداء المُضطّرين ويُجيب دعاء المُحتاجين ويُغيث الملهوفين، ويكشف السّوء ويقبل الطّاعة.
- الله يعلم السّرّ وهو ما تُحدّث به نفسك، والنّجوى وهي التي تكون بين الاثنين فيسمعهما، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[4]، والأخفى هو خطرات القلوب وهواجس النّفوس ومُناجاة الضّمائر، وهو ما لا تعلمه عن نفسك من خفايا الضّمائر، أو ما يُسمّى بالعقل الباطن.

التّعلّق باسم الله السّميع

- بالتّوجه إلى مولاك، أن يجعلك سميعًا مطيعًا لأمره.
- أن تعلم أنّ الله تعالى يسمعُ دعاءك، فتدعو وأنت موقن أنّ الله تعالى يسمع ويُجيب ... ولا تشكو الله إلى خلقه بل

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٦٨٩، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله: ﴿لقَد كانَ في يوسُفَ وإخوتِهِ﴾.
(٢) ذكره القرطبيّ في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآية: ١٣٦، ج٢، ص١٤١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٤) سورة طه، الآية: ٧.

تشكو همّك إلى الله.

- أن تستشعر مبدأ المُراقبة، أي أن تُراقب قلبك وفكرك، والله يسمع ما تُحدّث به نفسك، ويعلم خفايا النّفوس.
- أن تعلم أنّ الله تعالى يسمع ما يفتري الأعداء به عليك وما يمكرون بالأُمّة الإسلاميّة، والله يسمع سرّهم ونجواهم، ويردّ مكرهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].
- أن تعلم أنّ الله ينصرك إذا استنصرته، ويستجيب لك إن دعوته، ويكفيك إن استكفيت به، وهو يسمعك، وهو وكيلك يدافع عنك بما هو خير لك، بـ"حسبي الله ونعم الوكيل".

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

اسأل الله تعالى الهداية دائمًا، واقرأ دعاء التوجّه بعد تكبيرة الإحرام قبل الفاتحة في أوّل ركعة من كلّ صلاة فرضًا أم نفلًا.

"وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[2].

في الأخلاق والآداب

التوجيهات:

- على المؤمن أن لا يهتمّ بالشّعارات والادّعاءات، وأن لا تغريه الكلمات، بل عليه أن يبحث عن الحقائق المؤيّدة بالأدلّة الصّحيحة، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾.
- لا هداية ولا سعادة في الدارين إلا بالإسلام، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾.
- لا بدّ للمسلم أن يظهر عقيدته الصّحيحة، ويصدع بها، ويدعو لها؛ إذ هي أصل الدّين وأساسه، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ﴾[3].

التخلّق باسم الله تعالى السميع

- أن تستمع لكلامه بأُذن عقلت عن الله، فانتفعت بما سمعت من كلام الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4]
- أن تستمع لأحاديث رسول الله ﷺ وتعيها لتعمل بها، لأنّ الاستماع غير السّماع، الاستماع هو مَن سمع ووعيَ وطبّق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[5].

أن تكون سميعًا لأوامر الله ورسوله ﷺ فتُطيع، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن علي بن أبي طالب، حديث رقم: ٧٧١، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة اللّيل وقيامه.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

- أن تستمع إلى ما يُرضيه فتفهم وتعي وتتّعظ وتعتبر من كلّ ما تسمع.
- أن تستمع للنّصيحة لتعمل بها، وأن توصّي وأن تُوصى.
- أن تسمع شكاوى النّاس وحاجاتهم وطلباتهم ومُستلزماتهم، فتسعى ما استطعت في قضاء حوائجهم ومساعدتهم.
- أن تدعو للنّاس في جوف اللّيل وفي أوقات الاستجابة، فالدُّعاء كنزٌ عظيم يهيّئ الله به الأسباب، وبالدّعاء يُسخر الله لك الأعداء والأحباب ليخدموك.

في السّيرة والشّمائل

قَدِمَ وَفْدِ نَجْرَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِبًا فيه أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَفِي الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَؤُولُ إِلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ، الْعَاقِبُ أَمِيرُ الْقَوْمِ وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمُ الَّذِي لَا يَصْدُرُونَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَالسَّيِّدُ ثِمَالُهُمْ وَصَاحِبُ رحلهم ومجتمعهم وَاسْمُهُ الْأَيْهَمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ علقمة وهو أسقفهم وحبرهم، دخلوا مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْحِبَرَاتِ جُبَبٌ وَأَرْدِيَةٌ فِي جمال رجال بني الحارث بن كعب يقول بعض من رآهم مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا رَأَيْنَا وَفْدًا مِثْلَهُمْ وَقَدْ حَانَتْ صَلَاتُهُمْ فَقَامُوا لِلصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأراد النّاس منعهم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُمْ» فَصَلَّوْا إِلَى المشرق، فتكلم السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أسلما»، قالا: قد أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ.

قَالَ ﷺ: «كَذَبْتُمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ ادِّعَاؤُكُمَا للهِ وَلَدًا وعبادتكما للصّليب وَأَكْلُكُمَا الْخِنْزِيرَ»، قَالَا: إِنْ لَمْ يكن ولدًا لله فمن أَبُوهُ؟ وَخَاصَمُوهُ جَمِيعًا فِي عِيسَى، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيّ ﷺ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ؟» قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: «ألستم تعلمون أنّ ربّنا حيّ لا يموت وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء؟» قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ؟» قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: «فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟» قَالُوا: لَا.

قَالَ ﷺ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؟» قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: «فهل يعلم عيسى من ذلك إِلَّا مَا عُلِّمَ؟» قَالُوا: لَا.

قَالَ ﷺ: «فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيْفَ شَاءَ، وَرَبُّنَا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ»، قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، ثُمَّ غُذِّيَ كَمَا يُغَذَّى الصَّبِيُّ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ وَيَشْرَبُ وَيُحْدِثُ؟» قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: «فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ؟» فَسَكَتُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، إلى قوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١] عَلَى وَفْدِ نَجْرَانَ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، قَالُوا: حَتَّى نَرْجِعَ وَنَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ثُمَّ نَأْتِيكَ غَدًا فَخَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا لِلْعَاقِبِ وكان ذا رَأْيِهِمْ: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ مَا تَرَى؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَاللهِ مَا لَاعَنَ قوم نبيًّا قطّ فبقي كبيرهم ونبت صغيرهم، ولئن فعلتم ذلك لتهلكنّ عن آخركم، فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ فَوَادِعُوا الرَّجُلَ وَانْصَرِفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَدْ غَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحْتَضِنًا لِلْحُسَيْنِ آخِذًا بِيَدِ الْحَسَنِ وَفَاطِمَةُ تَمْشِي خَلْفَهُ وَعَلِيٌّ خَلْفَهَا، وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: ((إِذَا أَنَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا))، فَقَالَ أُسْقُفُّ نَجْرَانَ: يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى إِنِّي لَأَرَى وُجُوهًا لَوْ سَأَلُوا اللهَ أَنْ يُزِيلَ جَبَلًا مِنْ مَكَانِهِ لِأَزَالَهُ، فَلَا تَبْتَهِلُوا فَتَهْلِكُوا وَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَصْرَانِيٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ رَأَيْنَا أَنْ لَا نُلَاعِنَكَ وَأَنْ نَتْرُكَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَثْبُتَ عَلَى دِينِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((فَإِنْ أَبَيْتُمُ الْمُبَاهَلَةَ فَأَسْلِمُوا، يَكُنْ لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ))، فَأَبَوْا فَقَالَ: ((فَإِنِّي أُنَابِذُكُمْ بِالْحَرْبِ))، فَقَالُوا: مَا لَنَا بِحَرْبِ الْعَرَبِ طَاقَةٌ، وَلَكِنَّا نُصَالِحُكَ عَلَى أَنْ لا تغزونا ولا تُخِيفَنَا، وَلَا تَرُدَّنَا عَنْ دِينِنَا عَلى أَنْ نُؤَدِّيَ إِلَيْكَ كُلَّ عَامٍ أَلْفَيْ حُلَّةٍ أَلْفًا فِي صَفَرَ وَأَلْفًا فِي رَجَبٍ، فَصَالَحَهُمْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

وذُكر أنّ صاحبا نجران اتّفقا على إعطاء الجزية، فقالوا لرسول الله ﷺ: رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك عَلَى دِينِكَ وَنَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا وَلَكِنِ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ تَرْضَاهُ لَنَا يَحْكُمُ بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنّكم عندنا رضا.[٣]

وعن حذيفة ﷺ، قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: ((لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ))، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ((قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ)) فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ))[٤] فكان يقضي بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه.

المباهلة هي الدّعاء بإنزال اللّعنة على الكاذب من المتلاعنيْن، وهي مشروعة لإحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، فعن سعد بن أبي وقّاص ﷺ، قال: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[٥] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي))"[٦]. قال ابن حجر: "وَفِيهَا مَشْرُوعِيَّةُ مُبَاهَلَةِ الْمُخَالِفِ إِذَا أصرّ بعد ظُهُور الْحجَّة"[٧].

(١) سورة آل عمران، الآية:٦١.
(٢) ذكره البغويّ في تفسيره، ج١، ص٤٠٧، ٤٥٠.
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: سورة آل عمران، الآيات: ٥٩-٦٣، ج٢، ص٤٤.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن حذيفة، حديث رقم: ٤٣٨٠، كتاب: المغازي، باب: قصّة أهل نجران.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٦) رواه مسلم في صحيحه، عن سعد بن أبي وقّاص، حديث رقم: ٢٤٠٤، كتاب: فضائل الصحابة رضي اللّه عنهم، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.
(٧) ذكره ابن حجر في فتح الباري، باب: قصة عمان والبحرين، ج٨، ص٩٥.

في السّلوك

الإشارة: يقال لمن حصرَ الخصوصيّة في أسلافه، ونفاها عن غيرهم: هل حضرتم معهم حين أوصوا بذلك؟ بل ما كانوا يوصون إلا بإخلاص العبوديّة، وتوحيد الألوهيّة، ومشاهدة عظمة الربوبيّة، فمن حصّل هذه الخصال كانت الخصوصيّة معه أينما كان، ومَن حاد عنها ومال إلى متابعة الهوى انتقلت إلى غيره، ويقال له: إنّ أسلافه قد جَدُّوا ووجَدُوا، وأنت لا تنتفع بأعمالهم في طريق الخصوصيّة.

لم يقولوا إلهنا مراعاة لخصوصيّة قَدْره، حيث سلّموا له المزية، ورأوا أنفسهم ملحقين بمقامه، ثمّ أخبروا عن أنفسهم أنّهم طُيِّع له بقولهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

إن سلكوا طريقتكم، وأخذوا بسبيلكم، أُكرِموا بما أُكْرمتم، ووصلوا إلى ما وصلتم، وإنْ أبَوْا إلا امتيازًا أبَيْنَا إلا هوانهم، فإنَّ نَظَرَنا لمن خدمك يا محمّد بالوصلة، وإعراضنا عمّن بَايَنَك وخالفك... من خالفك فهو في شقّ الأعداء، ومن خَدَمَك فهو في شقّ الأولياء.

الإشارة: قد سرى هذا الطّبع في بعض المنتسبين، يُرَغِّبُون النّاس في طريقهم، ويحرصون على اتّباعهم والدّخول معهم، وينقصون طريق غيرهم، وهو وصف مذموم، بل الواجب أن ينظر الإنسان بعين البصيرة، فمن وجده يدلّ على الله ويغيب عمّا سواه، ينهض حاله ويدلّ على الله مقاله، اتّبعه وحطَّ رأسه له، ولزم ملّته وطريقه أينما كان، وكيفما كان. ومن وجده على غير هذا الوصف، أعرض عنه، والتمس غيره، وليس من شأن الدّعاة إلى الله الحرص على النّاس، أو التّرغيب في اتّباعهم، بل هم أزهد النّاس في النّاس، من أتاهم دلّوه على الله، ومن لقيهم نصحوه في الله، هم على قدَم الرسول ﷺ وقد قال له الحقّ تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[1]. ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]، ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3]، فكان ﷺ بعد ذلك يدلّ على الله وينظر ما يفعل الله تعالى.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

دعاء التوجّه:

قال رَسُولُ الله ﷺ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا

(١) سورة يونس، الآية: ٩٩. (٢) سورة الغاشية، الآية: ٢٢. (٣) سورة الشعراء، الآية: ٣.

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[1].

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن عليّ بن أبي طالب، حديث رقم: ٧٧١، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة اللَّيل وقيامه.